لا أعتقد أن إنساناً عاقلاً، يستطيع أن يزعم أن مشكلة الثورة الفلسطينية، هي الاختيار بين التنمية والليبرالية. فهذه قضايا لا تطرحها ثورة بلا أرض. بل إن هذه الثورة قد حددت خيارها في القضاء على مجتمع ليبرالي، يشكّل من ناحية سياسية وعسكرية، امتداداً لمجتمع ليبرالي آخر ــ أميركا ــ وإقامة دولة علمانية فلسطينية.

فأين تقف فلسفة وليد مسعود من هذه المعادلة؟

والثورة قائمة على العنف. تهدف إلى القضاء بالعنف على معادلات اجتماعية قائمة، وإلى إحداث تغييرات جذرية في التكوين الإجتماعي والطبقي داخل فلسطين، وتقيم تحالفات محلية ودولية انطلاقاً من هذا، فأين تقف فلسفة وليد مسعود من هذا كله؟.

إننا نستطيع القول، ببال مستريح، إن وليد مسعود مقحم على ثورة لا علاقة له بها، ولا تربطه بها أهداف واحدة، ولا لغة مشتركة، ولا موقف مشترك.

حلم اليقظة

إحتجنا أن نقول هذا كله ــ وما زال الكثير مما لم يقل لضيق المساحة ــ حتى نطرح النتيجة، التي توصلنا إليها، من خلال قراءة هذه الرواية. وهي: إن هذه الرواية هي نتاج حلم يقظة طفل يمارس نرجسيته.

لا أعتقد أننا بحاجة إلى معرفة معمّقة بعلم النفس، وإلى معرفة متخصّصة بديناميات النفس الإنسانية، لندرك أننا أمام ذلك النوع من أحلام اليقظة، التي تسمى بالنمطية. وهي، في الغالب، أحلام جنسية، أحلام بطولية. أو ابتزاز الحب من الآخرين.

هنالك العديد من الدراسات النفسية، النظرية والميدانية، عن هذا النمط من أحلام اليقظة. وتؤكّد هذه الدراسات إن السمات الأساسية لهذه الأحلام تتمثّل فيما يلي:

(أ) إنها ذات طابع تعويضي. أي إنها ترضي الحالم نفسياً حين يواجه مصاعب واقعية لا يستطيع تجاوزها. مثال ذلك أن يعجز الإنسان عن مقاومة معتد أكثر قوة منه، فيلجأ إلى حلم اليقظة لينتقم منه.

(ب) إن حلم اليقظة النمطي يتكرّر من ناحية البنية.

(ج) إنه يرتبط بحالة إرهاق كنتيجة للعمل الرتيب. مثال ذلك الدراسات التي أجريت على الطابعات على الآلة الكاتبة، أو الإرهاق النفسي المترتّب على فترة المراهقة، أو سن اليأس عند النساء والرجال.

ما هو الوضع الحقيقي لحالم اليقظة؟

إنه، في اللحظة التي يحلم فيها، يعود إلى فردوس الطفولة السحري. نعني بذلك، إحساس الطفل بأن العالم امتداد له، وإنه لا يوجد للآخرين ذوات مستقلّة * .

---

* من يريد ان يستزيد عن هذا الموضوع، فليعد إلى كتاب الدكتور مصطفى سويف «الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي».